وفي سنة ٥٦هـ ولى معاوية سعيد عثمان بن عفان على حرب خراسان واضاف اليه عددا من القادة الكبار امثال المهلب بن ابي صفرة واوس بن ثعلبة من بني تيم اللات وطلحة بن عبيدالله الخزاعي (طلحة الطليحات) وربيعة بن عسل اليربوعي احد بني عمر بن يربوع مع اربعة الاف من البصرة ( ) ويبدو ان اختيار معاوية لهؤلاء القادة الذين رافقوا سعيد بن عثمان كان موفقا خاصة وانهم تميزوا بقدراتهم القتالية وكانوا رؤساء لقبائل الازد وخزاعة وتميم من مضر تلك القبائل التي كانت تمثل القطاع الاكبر لعرب خراسان التي استقرت هناك بفعل عمليات الفتح والتحرير فضلا عن الخمسين الفا الذين قام زياد بنقلهم من الكوفة والبصرة والذين يمثلون مختلف القبائل العربية ( ) .

قطع سعيد بن عثمان النهر في سنة ٥٤هـ كان اول من قطعه بجنده فلما بلغ خاتون عبوره النهر حملت اليه الصلح واقبل اهل الصغد والترك واهل كش ونسف في مائة وعشرين الفا فالتقوا ببخارى فتمكن سعيد منهم ( ) ، ثم توجه بعد ذلك نحو سمرقند ( ) فقاتل اهلها ثلاثة ايام ففقئت فيها عينه وعين المهلب بن ابي صفرة واجبرهم على طلب الصلح حيث صالحهم على سبعمائة الف درهم وان يعطوه رهنا من ابناء عظمائهم وعلى ان يدخل المدينة ومن شاء وخرج من الباب الاخر ثم سار بعد ذلك نحو الترمذ ( ) ففتحها صلحا ( ) .

ان مما يلاحظ على عمليات الفتح والتحرير هذه ان القادة الذين شاركوا في هذه العمليات الحربية كانوا على درجة عالية من الحماس والاندفاع حتى ان بعضهم استشهد اثناء العمليات الحربية كما تعرض بعضهم لجروح كبيرة ، وهكذا فان هذه العمليات التي قادها العرب المسلمون في ظروف بيئية وطبيعية تختلف عن طبيعة بلاد العرب المألوفة تستحق كل التقدير والاكبار سواء لؤلائك القادة العرب او للمقاتلة الذين انساحوا في ارض الله وجاهدوا في سبيله والصورة التي تم عرضها لحركة الفتوح والتحرير في هذه الحقبة تنفي الى حد بعيد ما ادعاه احد الباحثين المحدثين ( ) من حركة الفتح في هذا العصر لم تعد مبدئية وانما خضعت لاعتبارات مرحلية كامتصاص النقمة او ارواء رغبات الجند المتعطشين للمال والسيطرة او النزعة الامبراطورية للخليفة في اقامة دولة عضمى محورها العنصر العربي .